

الملامح الأنثروبولوجية في المقامة الأندلسية "مقامة العيد" لابن مربع الأزدي أنموذجا

**Anthropological features in the andalusian maqamh, the
eid maqamh, by ibn maraba'al azdi as a model**

دلال جلباني*

عبد العزيز بومهرة*

تاريخ النشر: 2023/05/10	تاريخ القبول: 2022/09/22	تاريخ الإرسال: 2021/12/20
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تسعى هذه الدراسة لاستنطاق النص التراثي المقامي وفق المقاربات النقدية المعاصرة، ومحاولة إبراز الملامح الأنثروبولوجية التي بنيت عليها مقامة العيد لابن مربع الأزدي التي تزخر بحمولة ثقافية، وشحنات دلالية إيحائية، سواء كانت أنساقا اجتماعية، أو ثقافية، وجب على الدارس فك شفراتها، ورموزها، للتملص من الدراسات النقدية القديمة التي اقتصر اهتمامها على الجوانب الجمالية، والفنية.

كما ينشد النص المقامي مواكب المناهج الحديثة، للرفع من سقف تحدياته، لإخراجه من رتبة الدراسات التقليدية، والتكثيف من الدراسات العربية الأنثروبولوجية من خلال جعل هذه المدونات التراثية قابلة لقراءات جديدة، وتأويلات مختلفة

* جامعة 8 ماي 1945 قالمة مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

djelbani.dallel@univ-guelma.dz

* جامعة 8 ماي 1945 قالمة مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

boumahra.abdelaziz@univ-guelma.dz

الكلمات المفتاحية: مقامة العيد، ابن مرابع، منهج أنثروبولوجي، الحياة العامة في غرناطة، القرن الثامن للهجرة.

Abstract:

This study seeks to examine the traditional maqamh text by using the contemporary critical approaches. It attempts to shed light on the Anthropological feachers that underpin the Maqamah of the Eid of Ibn Marab' Al-Azdi. The latter is rich in a cultural and suggestive semantic loads. Whether it is social or cultural patterns, the student must decode them to avoid critical studies whose attention was limited to the aesthetic and artistic aspects.

The Maqamah text also signs along with modernist curricula for the purpose of raising its challenges and getting it out of the monotony of traditional studies. Also, it aimes at intensifying it from Arab Anthropological studies by making these heritage blogs open to new reading and different interpretations.

Key words: Maqamah of Eid, Ibn Marab, Anthropological approach, Public life in Granada, Eighth Century AH.

*** **

المؤلف المرسل: دلال جلباني djelbani.dallel@univ-guelma.dz

1. مقدمة:

خلق النص التراثي القديم (مقامة العيد) (لأبن مرابع الأزدي) مجالات متعدّدة، فتحت آفاقا وخلقت تساؤلات حفزتي لدراسة ملامحها الأنثروبولوجية، لإخراجها من رتابة الدّراسات الجمالية المحصورة في قالب النصي اللّغويّ إلى كلّ ما يتعلق بهذا النص من خلال سياقات مختلفة، لتزداد وتيرة هذه الدّراسات لتقديم قراءات جديدة تجعل من هذا التراث الأدبي يكتسي حلّة جديدة، يكون فيها الإنسان أحد مرجعياتها بما أنّ الإبداعات الأدبية من نتاجه يوجهها إلى المتلقّي لرصد تأويلاته.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة آليات المنهج الأثروبولوجي الذي يتعامل مع النص بكونه مادة أساسية، من خلال العلاقات التي تربط العمل الإبداعي بالمجتمع، وثقافته التي أنتج فيها، متّخذاً إياها مجتمعات مصغرة يجب اكتشافها، وسبر أغوارها، قصد معرفة مضمراتها.

فما يشغلنا -بالأساس- في هذه الدراسة إثارة إشكاليات تتمحور حول: كيف استطاع الراوي تصوير الواقع الأندلسي عن طريق اشتغال الرمز في الشخصيات، والأمكنة؟، وما هي أهم الأبعاد التي شكّلت بنية المجتمع الأندلسي في المقامة؟، وما مدى نجاعة المنهج الأثروبولوجي في استنطاق النص التراثي المقامي؟.

2. المقامة الأندلسية:

تُعَدُّ المقامة الأندلسية من الإبداعات الأدبية التي نتجت من تأثر الأدباء الأندلسيين بالأدب العربي وبخاصة مقامات الهمداني والحريري، نظرا للحمولة الاجتماعية، والثقافية التي تحويها، لتصبح مرآة عاكسة للمجتمع بمظاهره وأبعاده المختلفة، وما دام نص المقامة مجتمع مصغر عند الأثروبولوجي مشفّر ومُرمّز، فهو حامل لرسائل ومضامين ذات أبعاد ظاهرة وخفية، تنوّعت أغراضه بين المرح، والتسلية، مستعملة الكدية والاستجداء، وبين فك الشفرات المضمرة والمسكوت عنها وجب علينا تقصّيها من خلال هذه الدراسة.

ويمكن القول إنّ هذه المقامة: «من أكثر المصادر الإبداعية إيغالا في الحياة اليومية لفئات اجتماعية معينة، كالنساء، والتجار، وبعض الموظفين الرسميين»¹، فمن القراءة الأولى لنصّها نلاحظ براعة ابن مراع، وقدرته الفائقة في تصوير المجتمع الغرناطي آنذاك، مع إعطاء كلّ شخصية حقها، ومساحتها داخل النص.

يدرك الباحث في الأدب الأندلسي أنّ للمقامة الأندلسية منحى جديدا مغايرا عن المقامة المشرقية، وذلك لابتعادها عن الكدية والاستجداء دون التخلي عنهما، على غرار المقامة التي سندرستها "مقامة العيد" فعنصر الكدية والاستجداء واضح فيها، وذلك من خلال ما قيل في نصها، وطريقة الحصول على أضحية العيد، إذ صاغها الأديب في قالب قصصي يحكي قصة رجل استعمل كلّ الحيل من أجل الحصول على مبتغاه، وقد اعتبرها إحسان عباس من المقامات التي برع صاحبها في تصوير الحياة اليومية لطبقات المجتمع الغرناطي. يقول: «هي من خير المقامات تصورا للبيئة الشعبية الغرناطية في عصر لسان الدين بن الخطيب»²، فأحداثها، وشخصياتها، وبنائها الشكلي، والموضوعي صاغه ابن مراع، وهو يحاكي القالب المقامي الذي تعودنا عليه في الأدب المشرقي، وكان كلّ من الهمذاني والحري صاحب الريادة فيه خاصة إذا كان موضوع المقامة ثريا ومتنوعا، فمن الجانب الديني هو الحصول على أضحية العيد، وهي من السنن التي جاء بها نبينا الكريم إبراهيم عليه السلام، أما من ناحية المضمّن فهذا ما سنكتشفه لاحقا.

يبدو النص في بنيته السطحية قصة ساخرة مُكديّة لشراء أضحية العيد، لكن المعنى العميق لها هو الحرمان والمعاناة التي جعلت من زوجة بطل المقامة تطمح للثروة والوجاهة، فدفعته إلى تتبع كل الطرق رغبة للوصول إلى الهدف، فرغم لغتها البسيطة إلاّ أنها كانت تحتفي بكلّ مميزات المقامة في قالبها العام والمعروف. وبهذا تتضمن المقامة الأندلسية أبعادا، وخصوصيات اجتماعية، وثقافية، للثراء المبتوث في طيات نصوصها خولنا دراستها دراسة أنثروبولوجية، فكلّ ما تحمله من خلفيات أصبح من أولويات هذه الدّراسات، لإنتاج قراءات، وتأويلات لمضامينها.

3. المنهج الأنثروبولوجي:

الأنثروبولوجيا من الدّراسات التي تُعنى بالإنسان، ظهرت في الغرب، وكانت بداياتها لأغراض استعمارية³، لتصبح بعد ذلك فرعا من الفروع العلمية، وقد ثار جدل

كبير في تحديد بدايات هذا العلم نظرا للاتجاهات التي تناولته « بوصفها علما حديث العهد، على الرغم من مرور ما يقرب من القرن وربع القرن على نشأة هذا العلم»⁴، لمهتم هذا الدرس بمستويات الفيزيائية، والبيولوجية، والنفسية، وكذا الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والدينية، لذا فهي من الدراسات الموسوعية الشاملة التي لها علاقة مع عديد العلوم، التي تعدّ من الركائز الأساسية التي تستمدّ منها الأنثروبولوجيا مادتها، وتجعل منها وسيلة لتحقيق أهدافها لذا «هناك علوم أخرى كثيرة، طبيعية كانت أم إنسانية، تدرس الإنسان من جانب أو آخر»⁵، فتداخلت موضوعاتها مع موضوعات العلوم الأخرى، وكان إعطاؤها تعريفا شاملا وكاملا من الأمور الصعبة، فتنوّعت تعريفات الأنثروبولوجيا حسب الخلفيات الفكرية، والمنطلقات العلمية لكلّ باحث، وهذا ما يؤكد علاقتها الوطيدة بالعلوم؛ ففي شقها اللغويّ يتكون المصطلح من مقطعين، الأوّل بمعنى الإنسان، وهو محور الدراسة، أما الثّاني فهو العلم، وهكذا يكون معنى الأنثروبولوجيا علم الإنسان⁶، أو كما يقال الإناسة.

أما اصطلاحا فيذهب أحد أقطاب الأنثروبولوجيا (كلود ليفي شتراوس) في كتابه (الأنثروبولوجيا البنوية)؛ بأنّها شمولية؛ أيّ كلّ ما يتعلق بالبشرية سواء المتعلقة المعنوية أو المادية، لذا كان يرى بأنّها: «اسم يطلق على جميع العلوم المتعلقة بجانب من جوانب الحياة البشرية الروح، الجسد والنوع والفرد، الوقائع التاريخية ظاهرات الإدراك، قواعد علم الأخلاق المطلقة، المصالح المادية»⁷، في حين يرى آخرون أنّ علم الإناسة هو تكامل بين الإثنوغرافيا، والإثنولوجيا ليتوحد المصطلح، ويصير الأنثروبولوجيا فكلمة «إثنوغرافيا وصف الأحداث، وبكلمة إثنولوجيا خلاصة مقارنة لدراسة معمقة للمجتمعات التقليدية»⁸، فقد ركّزت الأولى على الوصف الدقيق للمجتمعات، والشعوب قيد الدراسة من خلال البحث الميداني، والحياة المعاشة داخل هذه المجتمعات فهي: «ملاحظة وتسجيل المادة الثقافية من الميدان»⁹، أما الثانية فهي تنحو للموضوعية

والعلمية؛ لأنها تسعى لتفسير السلوك الإنساني من خلال معايير مضبوطة ودقيقة، يحددهما عاطف غيث على أن «الإنثروبولوجيا كوصف للثقافات الفردية والأنثروبولوجيا كدراسة مقارنة للثقافة وبحث المشكلات النظرية التي يمكن أن تنشأ عن تحليل العادات الإنسانية»¹⁰، فهما يتمحوران حول البحث الأنثروبولوجي، بتعدد اتجاهاته، وتنوع مدارسها، فكانت الأنثروبولوجيا الاجتماعية، والأنثروبولوجيا الثقافية والسياسية، والاقتصادية...

4. الأبعاد الأنثروبولوجيا للمكان:

تجاوز المكان في الدراسات النقدية الحديثة بعده الجغرافي المحدد لأمكنة معينة، إلى أبعاد متنوعة مبثوثة في النص المراد دراسته، فهو يحتل حيزًا كبيرًا في الكتابات الإبداعية، لذا صار كغيره من التيمات التي تستدعي دراسة وتقصيًا نظرًا لحمولته الدلالية لأنه «لا يمكن النظر إليه كبناء جامد وإنما ينبغي اعتباره كائنًا حيا يحاور الواقع»¹¹، لذا فهو يشغل حيزًا كبيرًا في الكتابات الإبداعية العربية التي بعثت فيه حياة أخرجته من ذلك البناء الجامد، والحالة الهندسية والمعمارية إلى روح جمحت بالمبدع، وخيالاته، فصار المكان التيمة الجوهرية التي تجعل الأعمال الإبداعية ترتقي للعالمية، فنجد الشعراء الجاهليين قد جادت قريحتهم وكتبوا قصائد تقدس الأطلال والأماكن، ونص المقامة مثال على ذلك؛ حيث نجد فيها ذكرًا لأماكن مختلفة تستدعي الوقوف عندها، ومن هنا نحاول في هذه الدراسة التمعن في رمزية تلك الأماكن انطلاقًا من الثقافة المجتمعية في ذلك الزمن، والكشف عن أبعادها الخفية، فنلاحظ بأن الأماكن التي ذكرت في نص المقامة تراوحت بين الرئيسية والثانوية، لكن كلها أماكن واقعية تعكس رغبة المبدع في توصيل رسالة من خلال الحياة اليومية المعاشة، وعلاقاتها بالأبعاد المختلفة سواء اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو دينية، وهذا ما سنراه من خلال الأماكن الموجودة في هذا النص:

1.4 الدار أو البيت:

ورد ذكر الدار في بداية النص، وهو بيت راوي المقامة وبطلها، هو أساس كل أسرة، مخبأ الأسرار، ومكان الالتقاء بين أفرادها، كما أنه المأوى والمسكن، ونظرا لارتباطه بالإنسان أدخل في الدراسات الأنثروبولوجية، وأصبح فرعاً من فروعها، وهو تلك العلاقات بين الجوامد وأهل البيت، كما أنه الوجهة الأولى للتمتع بالراحة والاطمئنان، والتخلص من تعب يوم مضمّن، وقضاء حاجات بيولوجية، وفسيولوجية، ويظهر هذا من خلال قول الراوي: «دخلت في هذه الأيام داري، في بعض أدواري، لأقضي من أخذ الغذاء أوطاري. على حسب أطواري»¹²، فالبيت هو الوجهة الأساسية لصاحبه، بمعنى أنه يمثل المكان الأول الذي يفتح فيه الفرد عينيه، فيجد فيه الاستقرار والهدوء والأمان، كما أنه يحميه من كل المخاطر، لكن نص المقامة يعكس أساسيات ومقومات البيت في ظهور سلطته عند المرأة، وذلك من خلال الاسم الذي لقّبه بها ربّة البيت، وجملته الأوامر الصادرة عنها، والتي تنم عن الشّخصيّة القوية لهذه الزّوجة، وقدرتها الكبيرة عن طريق التحكم في زوجها من خلال جملة الأسئلة الموجهة لرب البيت، والحوار الدائر بينهما «لم جئت. وبما أتيت. قلت: جيت لكذا كذا فهات الغدا، فقالت: لا غذا لك عندي اليوم لو أودى بك الصوم»¹³، جاء الحوار داخل هذا البناء بكلّ أبعاده المعنوية والمادية ليخلق رغبات مكبوتة، وأحلام يقظة لتحقيقها¹⁴، كرهبته الجامحة في اقتناء أضحية العيد للتمسك بالتعاليم الإسلامية وسن السنن النبوية كوجه أول في حين يكون الوجه الثاني المضمر داخل النص محاولة محاكاة الجيران في شراء كبش شبيه بكبشهم، وتجاوزهم إن أمكن، نظرا للغيرة التي تقع بين النساء في هذه الأمور.

2.4 السّوق:

يمثل السّوق مكانا للعرض والطلب، يجتمع فيه النّاس من كلّ حذب وصوب، وسمي بهذا الاسم « لأنّ التجار تجلب إليها وتساق المبيعات نحوها »¹⁵، وتحدث فيه كلّ

أنواع المبادلات التّجاريّة، وقد صورت المقامة جشع، ومكر أهم طبقة اجتماعيّة فيه، وهم التّجار الذين يعرضون سلعهم، وكذا قدرتهم الفائقة لبيعها، من خلال الكدية والتّحايل على المشتري، وهذا يبرز في احتيال القصاب على البطل لبيع التيس والتّخلص منه، فيقول: « ما أكثره بشحم، وما أطيبه بلحم، الطلاق يلزمه، إن كان عاين تيسا مثله أو أضحية تشبه قبله، أضحية حفيلة، ومنحة جليلة. هنا الله من رزقها وأخلف الله عيها رزقها»¹⁶، كما صور براعة القصاب في بيع التيس؛ لما يسببه له من متاعب فيستحضر ما يحبب، ويعيب فيه، فيقول: «ما أشده وما ألذه، وما أصده، وما أجده»¹⁷، أراد الرّاوي تمرير رسالة، وهي ما آل إليه حال الفرد الأندلسي الذي أخذ دوره التيس في نص المقامة، وتردّي الأوضاع في تلك الفترة من حوله إلى درجة الشّدّ على خناقه من قبل الحاكم، والظّروف المعاشة، لكن طرق المراوغة والانفلات من كلّ هذه الأوضاع جعل منه تيسا قويا جاب كلّ الأزقة والدهاليز للانفلات منها، فالبراعة اللّغويّة التي تميز بها ابن مراع، وموهبته الأدبية جعلته ينسج هذا النصّ المقامي حتّى وإن كانت لغته قريبة للغة العامية السهلة المفهومة، فاحتل النصّ حُظوة لدى النّقاد.

ينتقل بعدها راويّ المقامة لعرض حاله المزرية «فما استرخصته استنقصته، وما استغلّيته استعليته، وما وافق غرضي، اعترضني دونه عدم غرضي»¹⁸، تضافرت كلّ العوامل السياسية، والاجتماعيّة، والاقتصادية لتنعكس على القدرة الشرائية للمواطن الأندلسي فصارت الطبقة الدّنيا للمجتمع تطمح للوصول لما ترتقيه، وتعيشه الطبقات الغنية.

3.4 الدهلّيز:

تبدوا أحداث المقامة التي يصورها البطل في صراع. تبدأ بشكوى الزّوجة من الأوضاع المعيشة، والحالة الاجتماعيّة المتدهورة، لوجود عدة عوامل أوصلت غرناطة في هذه الفترة لما وصلت إليه؛ لأن كل من «المغرب والأندلس في هذا العهد لم تكن تنعم

بأي من هذه المعطيات، ولذلك فقد عرفت الفتنة السياسية والضعف الاقتصادي»¹⁹، لدرجة عدم قدرة الزوج على شراء أضحية العيد، ونسيان سنة نبوية مؤكدة حسب ادعاء زوجته، فتخاطبه الزوجة «قد نسيت ذكره، ومحوته من بالك؛ ولم تنظر إليه نظرة بعين اهتبالك»²⁰، تنم هذه الأحداث كلّها على حالة الضيق، وعدم قدرة الزوج على تلبية مراد الأسرة، فخرج من البيت يبحث عن الراحة والانتساع متوجها إلى السوق، لكن بالمقابل يقع في مواجهة مع التيس الذي يفر بدوره من يد القصاب الذي كان يحكم قبضته على رقبته، مقتحما دهليز الفجار، والدهليز هو « ما بين الباب والدار، فارسي معرب والجمع دهاليز»²¹، لتزداد هموم الزوج أكثر من شراء أضحية العيد إلى الدّين الذي اشتراه به، إضافة لفرار التيس، وحالة الفوضى التي أحدثها، لكن الخروج من عنق الرّجاجة وإرضاء الزوجة لن يكون إلّا بكبش سمين يضاهاى كبش الوزير.

كما نلاحظ توفر المقامة على العديد من الأماكن مثل الزقاق، والخان، والزريبة، التي تحيلنا لتردّي الأوضاع التي وصلت بصاحب المقامة، فكلّ الأماكن تعبّر عن ضيق المساحة مما أدّى بالبطل لحالة الكبت التي يشعر بها، فتحقّى الزريبة اختبر منها القربة والبعيد لشراء الأضحية، فهي توحى بالواقع الذي آلت إليه الحياة اليومية في غرناطة، وتكشف عن تفاقم الأوضاع التي وصل إليها المجتمع الغرناطي في ذاك الوقت، لكن تقمصه دور البريح وخروجه إلى السوق وهو ينادي على تيسه بأعلى صوت تعزز حظوظ وقدرة الفرد العربي بتمرده على الواقع، والخروج من المأساة التي وصلت إليها الأندلس، فالراوي بانتقاله بين عدة أماكن مفتوحة ومغلقة أراد التغيير من حاله، والانتقال إلى حياة أفضل.

5. اشتغال الرمز في شخصيات المقامة:

تكمن أهمية الشّخصيّة باعتبارها من الركائز الأساسية للنص المقامي، تنقل أحداثا، وتخلق حركة؛ لتجعل المتن متعلقا بالجنس، فتتقاطع داخل النص الشّخصيات

الرئيسية والثانوية، وبذلك تتحدد أهميتها حيث «يقوم شخص من أشخاصها بدور البطولة في أحداثها، وينال في تصويره من الكاتب العناية الكبرى، ويكون محور القصة، والرابطة بين مختلف أشخاصها الآخرين، وقد يكون مع ذلك معبرا عن سلوك كثير من أهل طبقاته الاجتماعية»²²، فابن مراح الأزدى هو الشَّخصية المحورية داخل النص إضافة إلى شخصيات أخرى في نص المقامة منها الزوجة، والقصاب، وصاحب الدهليز، والمحاسب، والشرطي...

حملت كلّ من شخصية الزوج والزوجة الأوضاع الصعبة للحياة الشعبية في غرناطة خلال القرن الثامن للهجرى محاولة منهم تمرير رسالة مضمرة للنهوض من كلّ هذا، والرجوع للأيام الخوالي التي كانت تنعم بها الأندلس، فشخصية الزوج كانت تسير وفق خط سير الزوجة، لذا كانت شخصية خاضعة منقادة تنفذ كلّ ما يقال لها، «صدقت، وبالحق نطق، بارك الله فيك، وشكر جميل تحفيك»²³، يلي طلبات الزوجة ويخضع لرأيها، لم يتخذ جانبا إيجابيا داخل النص لآخر المقامة، فربة البيت تملّي عليه ما تريد، فتقول في نهاية النص: «أدلك على كبش سمين»²⁴، فتبرز قدرتها وتسلطها لتدله أين يجد ضالتها ومبتغاها، فالزوجة المسكينة تطمح للثروة والوجاهة، ولا يكون هذا إلا في بلاط الرئيس أبي سعيد بن نصر. كل هذا يعكس أوضاع المجتمعات العربية، والسلطة الحاكمة الفاسدة التي تجعل من رعاياها تنقاد خلفها فتلهيهم عن أمور الحكم والسياسة بأمور تشغل قوت يومهم وإعالة ذويهم.

أما شخصية القصاب فهي تصوير جيد للشخصية التي عرف بها التجار، ومهارتهم الكبيرة في الاحتيال والمكر، واقتناص الفرص لصيد الفريسة، والظفر بها، وكان البطل فريسة سهلة للقصاب وبيعه التيس مستغلا كلّ الحيل لبيعه إياها.

لم يسلم بطل المقامة من السلطة الأولى المتمثلة في الزوجة لتتأزم عليه الأمور، ويشترى أضحية العيد بالدين، فتتفاقم مشاكله وتصبّ أحواله، ليصل إلى المحتسب

لتوثيق الدّين فيصف تأزّم حاله قائلا: «فانحدرت معه لدكان التوثيق، وابتدرت من السعة إلى الضيق، وأوثقني بالشهادة تحت عقد وثيق، وحملني من ركوب الدين ولحاق الشين في أوعر طريق»²⁵، يمكننا القول إنّ البطل يصارع المشاكل من بداية النص إلى نهايته، حيث تبدو كل الشّخصيّات وهي تعمل ضده، ففي آخر المطاف يصطدم بصاحب الفخار الذي لم يسلم هو بدوره من الجلبة التي أحدثها التيس بدخوله الدهليز، وتحطيمه السّلعَة، ليجد نفسه عند الشرطي، والرهن زاد عليه « فاسترهن مئزري في بيته ليأخذ مايته»²⁶، من خلال أحداث المقامة ندرك أنّ البطل يبحث عن مخرج من هذه الأوضاع، لتتدخل الرّوجة في آخر المطاف وتدله عليه، وهو صاحب المقام الرئيس أبو سعيد بن منصور حامي الديار، وناصر المسلمين على الكفار.

6. ملاحم الحياة العامة من خلال للمقامة:

يدور الإطار العام للحكاية حول شراء أضحية العيد، وتأدية السنة التي جاء بها ديننا الحنيف، لكن تجسّدت العديد من الأبعاد داخل نص المقامة، المحملة بالدلالات المكثّفة عن الواقع السوسيو اقتصادي والديني للفئة التي تعيش بغرناطة في القرن الثامن، وكيف أصبح الفرد يطمح لما كان يعيشه الأسلاف، والمجد الغابر الذي ذهب مع الريح، لتصبح الأندلس صورة مصغرة لغرناطة انحصرت جنوب الجزيرة الأيبيرية «أخذ مدلول هذه التسمية يتقلص تبعا لسقوط المدن والثغور الأندلسية في يد الأسبان. فكانت كل مدينة أو ثغر يسقط في يد الأسبان يخرج من إطار التسمية. إلى أن اقتضرت على مدينة غرناطة»²⁷، لتزداد الفتن والمحن على سكان هذه المقاطعة بعد أن حوصرت من جميع الجوانب، لكن طموح أمرائها للأيام الماضية جعلتهم دائما في استعداد لاسترداد هذه الأيام، وهذا ما يعكسه النص المضمّر للمقامة.

1.6 البعد الاجتماعي:

من أهم هذه الأبعاد الأسرة التي تجعل المجتمع مستقرًا أو خلاف ذلك، وهذا ما لمسناه في نص مقامتنا، يبدأ البطل حكايته من داخل الأسرة التي تحيلنا للوهلة الأولى إلى أنها مضطربة؛ لأنَّ السلطة بيد الزوجة فانعكس هذا على المجتمع بصورة كبيرة، فالأسرة أساس استقرار المجتمعات وازدهارها، فيسعى بطلها للتخلص من هذا الاضطراب، وخوض كلِّ المغامرات، والسبل الوعرة التي تحملها لإرضاء الزوجة، ومجابهة العراقيل لشراء الأضحية متحدِّا الأوضاع الاجتماعية من فساد أخلاق، وتجرد من الإنسانية، والاحتيال والمكر والخداع والمحابة في مقابل الربح المادي، كما تعكس المقامة صورة عن طبقات المجتمع، فطبقة السلطان والبذخ الذي تعيشه يجعل الزوجة تطمح بأن تتخلص من فقرها، وتذبح كبشًا سمينًا يضاهي كبش الوزير، دلالة على الحياة الكريمة التي يعيشها المنتمون للبلاط.

2.6 البعد الاقتصادي:

يمثل السوق النموذج الأمثل للبعد الاقتصادي في المقامة، فظاهرة الفقر التي وصل إليها المجتمع الغرناطي وتردِّي الأوضاع المعيشية جعل التحايل يظهر في نوعية الأضحية، ليصل البطل لشراء تيس بأعلى الأثمان عوضا عن كبش يحمل المواصفات الشرعية للعقيدة الإسلامية، والصورة الأخرى التي تحيلنا للوضع الاقتصادي البسيط صناعة الفخار التي ما زالت تعبّر عن الصناعات الشعبيّة المعرفة عند العرب منذ سالف الأزمان، فهذه الصناعات الشعبيّة التقليدية يزاولها فرد أو مجموعة أفراد بهدف تلبية ضرورات الحياة اليومية، مستغلين المواد الأولية من بيئتهم²⁸.

3.6 البعد الديني:

يستوقفنا نص المقامة عند أول تيمة، وهي عيد الأضحي الذي يكتسي بعدا دينيا من ناحية، ويتداخل معه البعد الاجتماعي من ناحية أخرى؛ فإنَّ هذه الأضحية ثلثها

فقط هو الذي تحظى به الأسرة، أما ما تبقى فهو صدقة جارية أساسها التكافل والترابط الاجتماعي، لتخرج هذه الشريعة الدينية من قلبها المقدس لتتبع أبعاداً أخرى رصدها نص المقامة، فأصبحت الأضحية أداة للتفاخر والتباهي بين أفراد المجتمع، أما في بعدها الاقتصادي فهي عبء ثقيل على الفقير من ناحية عدم امتلاك ثمنها مما يجعله يشتريها بالدين، وبين رغبته في شراء أضحية تجعله مفخرة حيه وبذلك يتناسى البعد الحقيقي لأضحية العيد وهو التقرب من الله عز وجل.

7. خاتمة:

بعد محاولة قراءتنا للنص المقامي "مقامة العيد" لابن مرابع الأزدي" أفضت هذه الدراسة الأنثروبولوجية إلى جملة من النتائج أوضحت الصورة وأعطت قراءة جديدة، لكن هذا لا ينفي بأنه ما زالت هناك قراءات متنوعة تبقى مجال البحث مفتوحاً أمام الدارسين، ومن أهم هذه النتائج ما يلي:

- انفتاح النص التراثي المقامي على المناهج الحديثة، لإخراجه من رتبة الدراسات التقليدية، والتكثيف من الدراسات العربية الأنثروبولوجية سواء كانت بحوثاً ميدانية أو ضمن نصوص أدبية.

- استطاع المنهج الأنثروبولوجي رصد واقع الأندلس من خلال رمزية الشخصيات، فمن خلالها تظهر حالة الفقر والغنى، وبين القوة والضعف، وبين السلطة والرضوخ، أما رمزية المكان فقد عكست ظواهر الحياة العامة في غرناطة اجتماعياً في الابتعاد عن مظاهر التكافل والتضامن لأجل المفاخرة والتباهي، في حين كان البعد الاقتصادي يصور واقعا متردياً أساسه حالة الفقر.

- البعد عن المغزى الديني لأضحية العيد، وتطبيق الشرائع الإسلامية.

- المنهج الأنثروبولوجي أعطى النص المقامي روحا جديدة بتصويره الحياة الشعبية الغرناطية بصورة دقيقة ومفصلة.
- تمكن الراوي من إظهار السلطة الأموسية التي أصبحت منتشرة بكثرة في مجتمعات العربية.
- محافظة المقامة على طابعها العام الذي عرفناه في المقامات المشرقية من دعاية وسخرية لتمرير رسالة عن رفض الواقع المعاش آنذاك.

*** **

5. الهوامش:

- ¹ عبد العزيز بومهرة، النثر الفني في المغرب والأندلس في القرن الثامن هجري، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمشق، سوريا 1984، ص 297.
- ² إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، ط1، عمان، الأردن، 1997، ص 261.
- ³ حسين فهم، قصة الأنثروبولوجيا – فصول في تاريخ علم الإنسان-، علم المعرفة، دط، الكويت، (د، ت)، ص 115.
- ⁴ الشماس عيسى، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 2004، ص 07.
- ⁵ حسين فهم، مرجع سابق، ص 17، 18.
- ⁶ عيسى الشماس، مرجع سابق، ص 12.
- ⁷ كلود ليفي شتراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دط، دمشق، 1977، ص 08.
- ⁸ فيليب لابورت، وآخرون، إثنولوجيا أنثروبولوجيا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2004، ص 55.
- ⁹ إيكه هولتكرانس، قاموس مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلكلور، دار المعارف، ط1، مصر، 1972، ص 15.
- ¹⁰ محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، دط، 2005، ص 164.
- ¹¹ عائشة راشدي، سيرة الأميرة حمزة الهلوان – حمزة العرب – دراسة نصية أنثروبولوجية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، 2016، 2017، ص 196.
- ¹² لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار أمل للدراسات، دط، الجزائر، دت، ص 370.

- ¹³ المرجع نفسه، ص 370.
- ¹⁴ غاستون باشلار، جماليات المكان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1984، ص 38.
- ¹⁵ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، (د، ت)، ص 168.
- ¹⁶ لسان الدين بن الخطيب، مرجع سابق، ص 373.
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص 373.
- ¹⁸ المرجع نفسه، ص 372.
- ¹⁹ عبد العزيز بومهرة، مرجع سابق، ص 58.
- ²⁰ لسان الدين بن الخطيب، مرجع سابق، ص 371.
- ²¹ ابن منظور، مرجع سابق، ج 05، ص 349.
- ²² أحمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، مصر، 1997، ص 533.
- ²³ لسان الدين بن الخطيب، مرجع سابق، ص 371.
- ²⁴ المرجع نفسه، ص 380.
- ²⁵ المرجع نفسه، ص 375.
- ²⁶ المرجع نفسه، ص 378.
- ²⁷ محمد عبده حاتم، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، طباعة مطابع الدستور التجارية، دط، عمان، الأردن، 2000، ص 1023.
- ²⁸ رحيل فرج محمد وآخرون، المقومات الاجتماعية والاقتصادية للصناعات التقليدية ودورها في الحد من البطالة - دراسة ميدانية على منطقة أجدايا والواحات والكفرة، الهيئة الليبية للبحث والعلوم والتكنولوجيا، (طرابلس، ليبيا)، (د، ط)، 2017، ص 10.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. لسان الدين بن الخطيب، (د، ت)، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار أمل للدراسات، (الجزائر).

المراجع:

الكتب العربية:

1. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، ط1، عمان، الأردن، 1997.

2. أحمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، (مصر)، 1997.
 3. حسين فهميم، قصة الأنثروبولوجيا - فصول في تاريخ علم الإنسان-، علم المعرفة، الكويت، د، ت.
 4. رحيل فرج محمد وآخرون، المقومات الاجتماعية والاقتصادية للصناعات التقليدية ودورها في الحد من البطالة - دراسة ميدانية على منطقة أجدابيا والواحات والكفرة، الهيئة الليبية للبحث والعلوم والتكنولوجيا، (طرابلس، ليبيا)، (د، ط)، 2017.
 5. عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، (دمشق)، 2004.
 6. غيث محمد عاطف، 2005، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية. دط، دت.
 7. محمد عبده حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، طباعة مطابع الدستور التجارية، دط، عمان، الأردن، 2000.
- القواميس:**
1. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، دط، مصر، دت.
- الرسائل الجامعية:**
1. راشدي عائشة، 2016، 2017، سيرة الأميرة حمزة البهلوان - حمزة العرب - دراسة نصية أنثروبولوجية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة باجي مختار عنابة، (الجزائر).
 2. بومهرة عبد العزيز، 1984، النثر الفني في المغرب والأندلس في القرن الثامن هجري، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمشق، (سوريا).
- الكتب المترجمة:**
1. هولتكرانس إيكه، قاموس مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلكلور، دار المعارف، ط1، مصر، 1972.
 2. باشلار غاستون، جماليات المكان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1984.

3. لابورت فيليب، وآخرون، إثنولوجيا أنثروبولوجيا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2004.
4. شتراوس كلود ليفي، 1977، الأنثروبولوجيا البنيوية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دط، دمشق.